إضاءة

بعد قرن ونصف من إصدار كارلو كولودي روايته الشهيرة «مغامرات بينوكيو: قصّة دمية»، عاد الطبيب النفسي والكاتب الإيطالي فيتّورينو اندريولي اليها، ليعطيها ملامح حديثة وأكثر تعبيراً عن عالمنا. مسعىً يتناسق مع مشروع اندريولي لفهم الراهن و تغييره

يوسف وقّاص

يُعدّ أنف بينوكيو من أشهر الأنوف في إيطاليا والعالم، وقد تكيّف الإيطاليون جيّداً مع أنف هذه الشخصية، ولولا كذبه البريء، لأضافوه إلى ثلاثيّتهم الشهيرة: بلد البحارة والشعراء والقدّيسين. إلّا أنهم، مع مرور الزمن، ابتكروا إيماءةً لطيفة لتمثيل «كذبه الأبيض»، وذلك بضمّ الإبهام والسبّابة والوسطى والبنصر، كمن يمسك بكُرة صغيرة، وتقريبها من أرنبة الأنف وسحبها إلى أقصى ما يمكن، للدلالة مجازاً على أن المتكلّم بلغ الذروة في اختلاقه. قد يفعلون ذلك بطريقة محبّبة مع الأصدقاء، وربما مع بعض التحفّظ مع الغرباء، إلّا أنهم لطالما ألمحوا بها إلى السياسيين، لتبدو الإيماءة كما لو أنها ابتُدعت خصيصاً للتنديد باكاذيبهم.

عندما كتب كارلو كولودي روايته الشهيرة هذه للأطفال ونشرها متسلسلة في «مجلّة الأطفال» الأسبوعية بين عامي 1881 و1882، تحت عنوان «مغامرات بينوكيو: قصّة دمية»، وأكملها بعد ذلك في كتاب صدر في فلورنسا عام 1883، كانت الفلسفة الوضعية التي تعتمد على البيانات الحسّية والمعالجة المنطقية لها هي السائدة، وهي التي اختزلت علم التربية إلى عنصرين أساسيين: الفهم والإرادة، أي جعل الأفكار مفهومة وتقوية الإرادة لترجمة هذه الأفكار إلى سلوكيات محدّدة. هل لدى بينوكيو ما يمكن أن يقوله ويعلّمه لأطفال وآباء اليوم؟ ابتداءً من هذا السؤال - ومن هذا الإدراك - يبدأ فيتّورينو أندريولي بإعادة قراءة وكتابة تحفة كولودي، وذلك في كتاب صدر قبل عامين تحت عنوان «فيتّورينو أندريولي يعيد كتابة 'بينوكيو' لكارلو كولودي» (منشورات «بيبليوتيكا أونيفرسالّه ريتسولي»).

وفيتّورينو أندريولي واحدٌ من أشهر الأطباء النفسيين في إيطاليا. تخرّج من كلية الطب في «جامعة بادوفا»، وأجرى أبحاثاً تجريبية على الدماغ في «معهد علم الأدوية» في «جامعة ميلانو»، وعمل لاحقاً في قسم الكيمياء الحيوية في «كامبريدج» وكلية «كورنيل» الطبية في نيويورك و«جامعة هارفارد». سمحت له هذه الأبحاث بافتراض وجود علاقة بين لدونة الدماغ والسلوكيات المنحرفة، كان محور دراساته موضوع الجنون، باعتباره شكلاً متكيّفاً جرت صياغته على أساس المجالات التجريبية الفردية وتأثيرات البيئة الخارجية.

ساعدت دراسات اندريولي في كسر افتراض تشيزاريّ لومبروزو (1835 - 1909) للمرض العقلي، باعتباره تدهوراً في وظائف الدماغ. كان لامبروزو طبيباً وفيلسوفاً وأكاديمياً إيطالياً، من أنصار الفلسفة الوضعية، وأحد روّاد دراسات علم الجريمة، ومؤسّس الأنثروبولوجيا الإجرامية. وقد تأثر عمله بشدّة بعلم الفراسة والداروينية الاجتماعية وعلم

فيتّورينو أندريولي تأمّلاتٌ في مجتمعاتٍ تتصدّع

ما يقوله بينوكيو لعالمِنا

تمثال لريكاردو روسي في بونتريمولي، إيطاليا. يستعيد فيه شخصية بينوكيو (إليزا بيتشيني، Getty)

فراسة الدماغ. إلّا أن معظم نظرياته ليس لها أيّ أساس علمي، حتى إن العديد من العلماء وصفوه بأنه حالم وهمي، وفي نهاية حياته الأكاديمية والمهنية المثيرة للجدل، طُرد من «الجمعية الإيطالية للأنثروبولوجيا والإثنولوجيا» (عام 1882).

في هذه الأثناء، تغيّر علم أصول التدريس كثيراً بفضل تعاليم ماريا مونتيسوري (إيطاليا 1870 - هولندا 1952). التي ترتكز على أن التعليم لا يتمثّل في ملء رأس الطفل بالأفكار، بل على العكس من ذلك، في جذبها إلى خارجه . ونظريات سيغموند فرويد (1856 - 1939) في علم النفس والتحليل النفسي. الظرّيتان جاءتا بعد كتاب بينوكيو، ما اقتضى – حسب أندريولي - إعادة كتابة الرواية في ضوء تطوّر أصول التدريس لدى مونتيسوري والتحليل النفسي لدى فرويد.

يقول أندريولي: «بينوكيو أجمل حكاية في تقاليدنا الثقافية، وقد 'أعدتُ كتابتها'، لأنني أعتقد أن هذه الرواية لا تزال مفيدة في علم التربية الحديث، لمساعدة الأطفال خلال نموّهم، ولإسباغ الحداثة على رسالة كولودي.

أمّا أنف بينوكيو، فهو مقياس لرغباته. كذب بينوكيو - على عكس كذب اللذّة الذي يمارسه الطفل لتأكيد قدراته على الإيقاع بالآخرين والنيل منهم . لا يؤذي أيّ شخص، وهو مجرّد تعبير عن رغبته في أن يصبح طفلاً، كذلك فإن عاطفة الحورية الزرقاء وحبّ جيبيتّو الأبوي هما اللذان يجعلان هذا التحول ممكناً. فالتعليم يحتاج إلى العاطفة، وبفضل المشاعر، لا يصبح بينوكيو طفلاً مثل الآخرين فحسب، بل طفلاً نَرْيِنا. على العكس من ذلك، فإن العنف لا يُجدي نفعاً ولا التلقين المباشر للجُدد الناطق».

لا شكّ في أن قصّة الدمية الخشبية التي ترغب في أن تكون طفلاً قد فتنت أجيالاً عديدة، ولا تزال تفرض وجودها حتى اليوم، وربما أكثر من أي وقت مضى. في إعادة كتابتها، يضفي أندريولي، بمعرفة الطبيب النفسي وشغف الراوي، وباحترام عميق للنصّ الأصلي، ملامح جديدة على بينوكيو، وماسترو جيبيتّو، والجُدد المتكلّم، والحورية الزرقاء، والقطّ والثعلب، والشخصيات الأخرى، حيث نراها تكتسب نضارةً جديدة وتعيد تحفة كولودي إلى قرّاء زمننا - الأطفال والآباء والأجداد والمعلّمين - والتحدّيات التعليمية التي يواجهها التربويّون في الوقت الحاضر، خاصة بعد جائحة كورونا والتعليم عن بعد والآثار الجانبية الأخرى التي أصابت المجتمع الإنساني برمّته. في سرد هذه القصّة، بقدر ما هي قديمة، لا يختلف أندريولي كثيراً عن النصّ الأصلي، ويؤكّد ذلك قائلاً: «كان تدخّلي يهدف أوّلاً وقبل كل شيء إلى إعادة ترتيب بعض جوانبها، وثانياً لجعل بعض المقاطع أكثر سلاسة للقارئ».

ومع ذلك، لا يبدو هذا قليلاً جدّاً، حيث إن النسخة الجديدة من القصّة تجعلها أكثر قابلية للقراءة والاستخدام». من ناحية أخرى، يتابع أندريوليو، لم يكن الغرض من إعادة الكتابة البحثَ عن المجد، بل الأمل والرغبة في أن يتمكّن جميع الأطفال من الاطّلاع على قصّة هذه الدمية.

(كاتب سوري مقيم في ميلانو)

يعيد المؤلف كتابة قصة بينوكيو بلغة تخاطب عصرنا ومشاكله

يمكن لتلك الدمية المتخيلة قول الكثير لعالمنا بعد كورونا

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سؤال الدمية

إن ما يبدو لنا بعد قراءة اعمال فيتورينو اندريولي ـ خصوصا في استعادته لقصة بينوكيو وفي كتابه «قرن من الجنون» ـ من مشاعر وسلوكيات عادية في الاحوال اليومية، نجدها في شخصية بينوكيو مثيرة للدهشة على نحو لم نكن لنتوقّعه من قبل، وتنتابنا رغبة كبيرة لان نتساءل، من دون ان ندري إن كان علينا ان نوجّه السؤال الى بينوكيو او الى اندريولي (الصورة)؛ والآن، اي طرَفٍ تقترحون علينا لنمخر في عُباب هذا البحر الصاخب؟

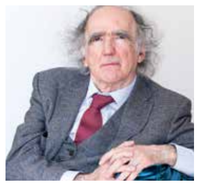

قراءة

عين حمورابي جرائم على سفح جبلِ أمجر

الرواية بوصفها صناعةً للإلغاز

موهبة المؤلّف هنا هي بناء السرد كسرّ، بل كلغز ومجرّد تخييل. هكذا يبدو أسلوب الرواية في هذا الإلغاز المثابر وفي بناء غموض لا ينكشف

عباس بيضون

«عينُ حمورابي»، رواية الجزائري عبد اللطيف ولد عبد الله الصادرة عن منشورات «مسكلياني» ودار «ميم للنشر»، ذات عنوان ملغزٍ لا يمتّ إلى زمن الرواية ولا حوادثها في شيء، ولا إلى حمورابي وقواعده وزمنه. لكنّ العنوان ليس وحده الملغز، إذ إن الرواية ما زالت تنطوي على الألغاز التي تتراكم على وقائعها وعلى شخصياتها وعلى زمنها، بحيث لا نملك يقيناً تجاه أيّ من هذه، وبحيث لا نخلص إلى رواية إلا لنجد، خلفها أو أمامها، ما يشكّك فيها أو يُنكرها وينفيها.

هذا ما يُميّز، بل ويضيّع. فداب الرواية الجلي هو زرع هذه الألغاز، وإماطة اللثام عنها، ثم العودة إلى زرعها. داب الرواية ـ أو أسلوبها ـ هو بناء الألغاز واللعب عليها، والتشويق لها. بناء الرواية هو هذه اللغزية المثابرة، لغزية لا تنتهي جميعها إلى انكشاف. لا تنتهي الأسرار كلّها إلى جلاء وإلى توضيح. نحن هكذا أمام رواية هي، حتى في مقدّمتها التاريخية، في ما يمكن أن يكون مجرّد مقدّمة وتوطئة، حتى في هذه نحن أمام لغز لا ننتبه له، حتى نقع في ختام الرواية على «إلغازه» الذي نجده مركّباً، فهو لغز في لغز، وهو لذلك لا ينكشف حتى يزداد إلغازاً.

في سفح جبل أمجر هناك دوّاران يُنسب بناؤهما إلى مهندس أجنبي هو بالتسان. دوّار سيدي مرزوق ودوّار سيدي حراق المتّصلان في بدء تشييدهما، والمنفصلان مع الأيام، هما أيضاً رغم تاريخيّتهما لغزٌ لا يزال يتنقل، من دون أن يرسو على تفسير. هما مقامان لقدّيسين يحملان اسميهما، لكنّهما من تشييد أجنبي، فكيف صحّ لشيخين صوفيّين أن يقوم لهما مزار بيد وبناء أجنبي؟ ليست هذه أحجية تجد حلّاً، لكنها أحجية تفضي إلى أحجية، إذ يتوارد أن الأجنبي الذي شيّدهما أخفى فيهما كنزاً ـ الرواية التقليدية لـ«ألف ليلة وليلة»، لكنّ هذا لا يصحّ ولا ينجلي ويبقى اللغز لغزاً، بل يبدو أن هذا الإلغاز، على هذا النحو الذي لا ينكشف، هو أسلوب الرواية. بمعنى القول بدءاً من إن من أساليب الرواية . وهي كثيرة الأساليب . صناعة الألغاز. هكذا نعثر في الرواية على الجريمة. الجريمة المتعدّدة، إذ ثمّة جرائم متواترة في الرواية، وفي ذلك ما يجعل الرواية بوليسية، بل يبدو، لأوّل وهلة، أن الرواية تتّجه إلى ذلك، لكن هذه الإيعازات لا تتحقّق. الجريمة تغدو جرائم والقتلة على وشك أن يبرزوا، بل يتراءى لنا أننا نكاد نعثر عليهم، لكن هذا يبقى وعداً فحسب. رغم أن في الرواية كل ما يُفضي إلى بناء بوليسي، إلا أننا، مع ذلك، لا نعرف تماماً مَن هو «أ» الذي راه الراوي في مستهلّ الرواية يُقتل، وشكّ في أنه يستتبع الجريمة الأولى بجرائم أخرى. يبقى الشكّ مع ذلك قائماً، وإن اتجهت الوساوس أحياناً بفعل الرواية، إلا أن الجريمة تبقى غامضة، بل يبقى غموضها والحيرة تجاهها قائمين على طول الرواية. نرى «أ» يقتل لكنّنا مع ذلك لسنا متأكّدين من أنه قاتل متسلسل، بل لسنا متأكّدين من أنه القاتل الأوّل الذي شاهدناه في مطلع الرواية. لسنا متأكّدين، إذ أن عبد اللطيف ولد عبد الله يريدنا أن نبقى متحذّرين، أن نبقى على ظنوننا وشكوكنا. لن نلتقي بـ«أ» ولن ينكشف لنا أمره، رغم أنه ينكشف

يبدو السرد متّجهاً للوهلة الأولى نحو رواية بوليسية

في البداية. إلّا أنه مع السرد ومع الجرائم التالية، يقلّ انكشافه ويقلّ اليقين من كونه مجرماً. سيتقطع السرد هنا وتقف الرواية. ما استطاع الروائي الجزائري بناءه، ما توخّى في الواقع صناعته، هو تماماً هذه الحيرة. لقد شاء أن يبقى الغموض ماثلاً، بل شاء أن يضفي على هذا الغموض غموضاً أكثر. هذا مراده وهذا ما توخاه، مزيد من الغموض، بل إلغاز شامل. هكذا تبدو الرواية في جانب منها صناعة الغموض، وبكلمة أخرى بناء الألغاز.

(شاعر وروائي من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«علاقات» لضياء العزاوي. أكريليك على قماش، 2018

معرض

عبد القادري عودةٌ إلى جموعٍ قالت «لا»

يوميات الثورة على ورق الأرز

في معرضه اللندني المتواصل حتى 12 من الشهر الجاري، يوثق الفنان اللبناني (1984) بالأبيض والأسود مشاهد حيّة من الاحتجاجات التي عاشها بنفسه

لندن ـ العربي الجديد

يتوسّط أعلى اللوحة شعار «استرجاع الممتلكات البحرية» الذي رفعه المتظاهرون في بيروت خلال احتجاجاتهم الشعبية عام 2019. يرسم عبد القادري بالكلمات فوق مساحات من الرمادي والأسود لا تظهر عليها سوى حشود غاضبة تملأ الشوارع والميادين مطالبة بزوال النظام الفاسد الذي جثم فوق صدورهم منذ نهاية الحرب الأهلية، ولا يغيب عن المشهد اللون الأحمر نازفاً وسط العتمة مع بياض قادم كضوء من بعيد.

إنه واحد من عشرة أعمال يتضمّنها معرض الفنان اللبناني «17 تشرين الأول 2019، يوميات الثورة اللبنانية» المتواصل حتى الثاني عشر من أيلول/ سبتمبر الجاري في «غاليري 12» بقصر كروميل اللندني، بتنظيم من «غاليري تانيت». يوثّق القادري (1984) برسومات منقّشة في ألوانها وتفاصيلها مشاهد حيّة عاشها بنفسه، لا تحفل بأية تزويقات تبدو فائضة في التعبير عن لحظة لا تُمحى من الذاكرة، حيث وحّد الغضب والرفض جموع اللبنانيين من جميع دياناتهم مذاهبهم، لأول مرة منذ سنين طويلة، ونزلوا مطالبين بحقّهم في حياة كريمة، لتراهم في اللوحة متكاتفين متراصّين، حيث الوجوه بلا ملامح، إذ تتشابه في إحساسها بالظلم الذي يتوزّع مسؤوليته أمراء الطوائف والحرب.

تطغى المساحات الرمادية الممزوجة بالبياض والسواد على جميع اللوحات، وهي ليست بعيدة عن تجارب سابقة للفنان كان الأسود الحاضر الأساسي فيها كما في سلسلة «نيكتوفيليا» التي عرضها العام الماضي، باعتبارها اللون الأكثر وضوحاً، وهو «احتضان أعمى لجميع الألوان في وقت واحد»، وفق تعبيره. لكن الإحالات اللونية في المعرض الحالي تنبع من صلب الواقع الذي يسجّله الفنان ويثبت تواريخ أيامه على كلّ عمل. حين أعلن المحتجّون كلمتهم في بيروت، كان القادري في طريقه إلى مطار العاصمة اللبنانية للتوجّه إلى بكين حيث كان عليه إلقاء محاضرة في «متحف كافا للفنون».

وحين وصل الصين، شاهد الآلاف يملؤون طرقات لبنان عبر شاشات التلفزة، فقرّر أن يشتري ورق الأرز والحبر الصيني ويعود إلى وطنه، إلى حيث يجب أن يكون، ويرسم من هناك معاناته، يوماً بيوم، لوحة بلوحة.

ترتبط الرسومات بأمكنة معيّنة وتواريخ محدّدة لا تزال عالقة في ذاكرة اللبنانيين الذي أمضوا ليالي وأياماً مشدودين إلى حلم لم يتحقّق، وإلى تغيير لا يزال مستعصياً حتى اللحظة، وهي مشاهد تشكّل وثيقة بصرية أو صرخة احتجاج لفنان يعيش في جغرافية تفرض عليه الانخراط في السياسة باعتبارها ممارسة موازية للفن، وأن يقول بوضوح كلمة «لا».

سلسلة رسومات غير مكتملة، مثلها مثل الثورة اللبنانية نفسها، بحسب بيان المعرض، الذي يشير إلى أن القادري رسمها على مدار أسابيع متتالية ثم توقّف بشكل مفاجئ بعد تعرّضه للضرب من قبل قوات الأمن التي قمعت المظاهرات أواخر عام 2019.

رسومات ترتبط بأمكنة وتواريخ من انتفاضة تشرين الأوّل 2019

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

جانب من المعرض

فعاليات

تُعرض عند السابعة من مساء اليوم، في «مسرح الطليعة» بالقاهرة، مسرحية **فريدة** المقتبسة عن نص «أغنية البجعة» **لأنطون تشيخوف**. تؤدّي المونودراما الفنانة **عايدة فهمي**، وهي تروي قصة ممثلة مسنّة تستحضر الماضي والفن والحب يوم تكريمها الذي ينتهي بانتحارها على الخشبة بعد تمثيلها آخر مشهد بلا جمهور.

الهوية المعرفية مقابل الهوية المتقوقعة عنوانُ محاضرة يلقيها الروائي السوري **جان دوست** (1965/ الصورة) عبر منصّة «زووم» عند الخامسة من مساء بعد غدٍ الثلاثاء، ويقدّمه مدرّس الأدب العربي الحديث **باسيليوس بواردي**، ضمن سلسلة ندوات «إعادة قراءة الهوية في السياق الاستعماري» التي ينظّمها «مركز خليل السكاكيني الثقافي» و«مركز الأبحاث الفلسطيني».

يُعرض عند السادسة والنصف من مساء الخميس المقبل في «مؤسسة عبد الحميد شومان» بعمّان فيلم **الصبي الذي اخضع الريح** (2019) للمخرج **الملاوي شيواتال إيجيوفو**. يتناول الفيلم قصة طفل يحلم باستخدام طاقة الرياح، التي قرأ حولها كتاباً، في تغيير الأوضاع المتردّية التي تعيشها قريته في ملاوي.

الجمال الراديكالي عنوان معرض استعادي للفنانة الأميركية **هيلين فرانكنثالر** (1928-2011) يُفتتح الأربعاء، 15 من الشهر الجاري، في «غاليري دولويتش بكنشر» بلندن، ويتواصل حتى الثامن عشر من نيسان/ أبريل 2022، ويضمّ أعمالاً تمثّل تجربتها التي تمتدّ لأكثر من ستين عاماً في الرسم والطباعة.